على زاوية أحد الشوارع، يفرش عدد من الشبان بطانية سوداء مما نستلمه من الوكالة ويجلسون عليها يلعبون (ورق الشدة)، كل يوم بعيد العصر يجلسون هناك يقضون بعضاً من وقتهم حيث لا توجد وسائل تسلية أخرى، ويستمرون في لعبتهم حتى بعيد المغرب حيث يحل الظلام، يجمعون أوراقهم وينفضون بطانيتهم ويطوونها وينصرفون إلى بيوتهم، فبعد قليل يحل أوان منع التجول.

في أحد الأيام يمر بهم الشيخ أحمد هكذا كانوا يسمونه، رغم أنه كان لازال شاباً، وهو عائد من صلاة المغرب في المسجد، يقرأ عليهم السلام كلما مر بهم كالعادة، ولكنه هذه المرة اتجه نحوهم وجلس معهم وقد أبدوا استغرابهم من ذلك بصورة واضحة من خلال توقفهم عن اللعب، وجمعهم الأوراق وانتباههم الواضح لقدوم الوافد الغريب.

جلس الشيخ أحمد عندهم وقال: اسمحوا لي أن أتكلم معكم في أمر هام يخصكم، بدت الدهشة واضحة على وجوههم وقالوا: تفضل. بدأ الشيخ يتحدث بإسهاب وانطلاق مستشهداً بآيات من القرآن الكريم والحديث الشريف محذراً من إضاعة الوقت في اللهو غير المفيد، والحث على الطاعة، وعبادة الله، وأداء الفرائض مذكراً بنعم الله علينا محذراً من الخسارة في الآخرة ومن عذاب جهنم، رابطاً ذلك كله بصورة لطيفة بمستقبل الإسلام الذي يجب أن تعلو رايته في أرض فلسطين، أرض الإسراء والمعراج حتى تتحرر الأرض وينعتق الخلق، وتنجح المساعي المبذولة.

ظل الشباب الأربعة صامتين مندهشين من الحديث الذي يسمعونه لأول مرة، وطاب لهم ذلك الربط العجيب بين الدين والوطنية، فهذا مزج غريب لم يسمع من قبل، فالساحة الفلسطينية اعتادت أن ترى في الآونة الأخيرة إما الشيخ أو المتدين الذي لا علاقة له بالواقع والهم الوطني وإما الوطني أو الفدائي الذي لا علاقة له بالدين ولا بالتدين، وقد بدأت تظهر على وجوههم ملامح الإعجاب والرضا والإقناع بالكلام الذي يقوله الشيخ الشاب.

وتساءل أحدهم: وما هو المطلوب منا يا شيخ؟ ارتسمت على شفتي الشيخ بسمة خفيفة قائلاً: غداً إن شاء الله تغتسلون وتتطهرون وتتوضأون ثم تذهبون للمسجد للصلاة،كلما ارتفع الأذان. هز الشباب رؤوسهم معلنين الموافقة، سلم عليهم الشيخ أحمد واحداً واحداً وهو يضغط بيده على كل واحد منهم وانطلق. فلملموا أوراقهم ونفضوا بطانيتهم وطووها وانطلقوا وقد حلّ الظلام وآن موعد منع التجول.